أثر التوجيه النبوي في تقويم سلوك الفرد

م.م. بشار شعلان عمر النعيمي
مؤسسة الفيضي الشهيد/للتربية والتعليم والثقافة الإسلامية

تاريخ تسليم البحث : 2006/6/15 ؛ تاريخ قبول النشر : 2007/1/23

ملخص البحث :

تناول البحث أثر التوجيه النبوي في تقويم سلوك الفرد واطلق البحث عن اهتمام النبي ﴿ﷺ﴾ بالأطفال وتعليمهم كل مفيد ونافع ، والصبر على تعليمهم ، ويبدأ هذا التوجيه من أداء العبادات إلى أبسط الآداب التي ينبغي التحلي بها . ومن ثم أثر التوجيه النبوي في سلوكيات الشباب ورعايتهم وكيفية معالجة اخطاء الشباب واصلاح لتقويم سلوكهم .

The Effect of Prophet s Directions in Adapting Individuals Behaviour

Assistant Lecturer Bashar Shaalan Al-Nuaimi

AL-Faidhi Institution

Abstract:

This research deals with the effect of prophet directions in adapting individual behaviour focusing on children and educating them the best of everything and to be patient during the whole process. This direction begins from the rituals to the best morals needed in a person. The research also talks about the effect of prophet directions on the behaviour of youth, taking care of them, how to deal with the mistakes that occur and their amend ment to adjust their behaviour.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمّد .. وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فتتجلى في كل وقت يمر على هذه الإنسانية عظمة نبينا وحبيبنا محمّد ﴿ﷺ﴾ من خلال التوجيهات والنصائح والإرشادات التي وجهها إلى أمته، حيث أخذت الأمة تلك التوجيهات وجعلتها القواعد الأساسية التي بنت عليها منطلاقاتها في الحياة، فكانت تلك التوجيهات السديدة دليلا يدل الأمة على سبل الفلاح وطرق النجاح، ويوما بعد يوم تزداد حاجة الأمة إلى هذه التوجيهات النبوية الشريفة لمواكبة مستجدات الحياة ومعطيات الزمن في كل ميدان من ميادين الحياة، لأن النبي الكريم . عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . أقام نظاماً للمجتمع المثالي صالحاً لكل زمان ومكان وملائماً لكل متغيرات الحياة فلم يدع شاردة ولا واردة إلا تعرض لها في جميع النواحي ومختلف الأصعدة، ولعل أبرز جانب من جوانب الحياة نال حظاً وافراً من اهتمام النبي ﴿ﷺ﴾ هو الجانب التربوي، فقد كان . عليه الصلاة والسلام . يتابع كل فرد من أفراد أسرته وكذلك صحابته فيرصد أفعالهم ويقرهم على المقبول منها والحسن، ويرصد أيضاً بعض أخطائهم التي يقعون فيها بحسب طبيعتهم البشرية فيبادر بأسلوب ما عرفت الإنسانية مثيلاً له إلى تقويم سلوكهم وتصحيح أخطائهم دون تجريح لأحد منهم ودون انتقاص لمكانتهم فتصحح الأخطاء وفق التوجيه النبوي الشريف، وليس هذا فحسب بل وصل الاهتمام النبوي الكريم بالأسرة وبنيانها إلى تقديم النصائح والإرشادات للأسرة لتحقيق التوازن الأسري فنرى في المنهج النبوي وصايا للزوج تجاه زوجته، ووصايا للزوجة تجاه زوجها، ووصايا للأبناء تجاه آبائهم، ووصايا للآباء تجاه أبنائهم، وهكذا تنتقل التوجيهات النبوية في إقامة المجتمع المثالي بشكل هرمي لتشمل بقية أفراد الأسرة وعلاقتهم مع بعضهم ثم تنتقل إلى علاقتهم مع أقربائهم وهكذا حتى تشمل المجتمع بأسره، فيزداد ترابطاً وتماسكاً حتى تتحول الأسرة الصغيرة إلى أسرة كبيرة تشمل المجتمع كله في نسيج مترابط وبنيان قوي لا ينصدع .

ومن هنا كانت هذه المنطلقات باعثة لي على كتابة بحث صغير في أثر هذا التوجيه العظيم للنبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم في تقويم سلوك الفرد، وقصدت بالفرد هنا الأطفال والشباب فقط بجنسيهما الذكور والإناث وأما كبار السن فهم الأدلاء والموجهون لتجربتهم الطويلة في هذه الحياة، وحسبهم الحلة البيضاء التي كست رؤوسهم مذكراً وناصحاً وواعظاً وموجهاً ودليلاً بعد أن علموا تعاليم النبي ﴿ﷺ﴾ وتوجيهاته التربوية . هذا وقد جعلت عنوان بحثي في هذا الشأن هو (أثر التوجيه النبوي في تقويم سلوك الفرد) وجعلته مؤلفاً من مبحثين وستة مطالب وخاتمة على النحو الآتي :

– المبحث الأول : أثر التوجيه النبوي في سلوكيات الطفل : واشتمل على ثلاثة مطالب :
* المطلب الأول : حيثيات التوجيه النبوي للأطفال إلى السلوك الحسن .
* المطلب الثاني : الحث النبوي الشريف على تحقيق العدل والمساواة بين الأطفال لتقويم سلوكهم .
* المطلب الثالث : أبعاد الخطاب النبوي الشريف إلى الأطفال وأثره في تقويم سلوكهم .
– المبحث الثاني : أثر التوجيه النبوي في سلوكيات الشباب : واشتمل على ثلاثة مطالب :
* المطلب الأول : التأكيد النبوي الشريف على الاهتمام بالشباب ورعايتهم .
* المطلب الثاني : المنهج النبوي في التعامل مع أخطاء الشباب وإصلاحها .
* المطلب الثالث : نماذج من الوصايا النبوية الشريفة إلى الشباب لتحصينهم وتقويم سلوكهم .
– الخاتمة : وذكرت فيها أبرز النتائج التي ظهرت لي من خلال هذا البحث .

المبحث الأول : أثر التوجيه النبوي في سلوكيات الطفل :

المطلب الأول : حيثيات التوجيه النبوي للأطفال إلى السلوك الحسن :

مما لا شك فيه أن الرسول ﴿ﷺ﴾ قد بعث متمماً للأخلاق، بل متمماً لصالح الأخلاق فقد قال ﴿ﷺ﴾ : " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق " **رواه الإمام أحمد**[1]**عن أبي هريرة بسند صحيح**[2]، ويبدأ هذا التتميم الأمثل من مرحلة الطفولة لتنشأ الأخلاق الحميدة والأفعال الفاضلة مع الطفل يوماً بعد يوم وتكبر معه حتى تغدو ميزة فضلى من مزاياه، وهذا الذي يجعلنا ننظر إلى أطفال اليوم . ذكوراً وإناثاً . على أنهم آباء وأمهات الغد، بل هم الموجهون والمصلحون، بل هم الدولة بما فيها من قوة وسلطان، ومنشأ هذه النظرة هي القناعة التامة بأن الطفل على استعداد تام وتفتح مستمر لتقبل كل ما يلقى إليه، واستقرار ذلك في قلبه ورسوخه في نفسه، وهذا الذي يجعل المصلحين يوجهون جل اهتمامهم للعناية بالأطفال وغرس العلم فيهم غرساً منذ الصغر، فلا يجوز إغفال الطفل أبداً ولا إهماله أو عدم المبالاة بشأنه أو انتقاد أفكاره مهما كانت بسيطة ومهما كانت بعيدة عن الواقع، لأن مهمة الجميع تكمن في العناية بهذا الغصن الرطب وحمايته من الميل والسقوط، ويكمن ذلك في توجيهه والأخذ بيده وتحصينه من السوء وحبال الشيطان.

---

(1) مسند الإمام أحمد في مسند أبي هريرة برقم (8939): 381/2 . للإمام أحمد بن حنبل ت (241 هـ) . ط مؤسسة قرطبة . مصر .

(2) ينظر مجمع الزوائد كتاب البر والصلة باب مكارم الأخلاق: 188/8 . للإمام علي بن أبي بكر الهيثمي ت (807هـ) . ط دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي . القاهرة، بيروت . 1407هـ، 1986م .

ومن خلال هذه المنطلقات صدرت التوجيهات النبوية إلى المجتمع بالعناية بالأطفال والاهتمام بهم ومتابعتهم منذ الصغر ليكونوا قادة المستقبل في شتى المجالات ومختلف الأصعدة، فنجد النبي ﴿ﷺ﴾ قد أوصى ببدء التعامل الحسن مع الأطفال منذ السنين السبع الأولى فقد قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرّقوا بينهم في المضاجع " **رواه أبو داود بإسناد حسن**[1]، وفي رواية: "علموا الصبي الصلاة وهو ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر " **رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي**[2].

وللوقوف عند حيثيات هذا الحديث الشريف لابدّ من الوقوف عند إيضاحات بعض شرّاح الحديث الأجلاء للمعاني السامية في هذا التوجيه النبوي العظيم :

يقول الإمام ابن حجر العسقلاني في تعليقه على أمر الأولاد بالصلاة : " إن الأولاد ليسوا بمكلفين فلا يتجه عليهم الوجوب وإنما الطلب متوجه على أوليائهم أن يعلموهم ذلك فهو مطلوب من الأولاد بهذا الطريق"[3] ، ويبين أبو الطيب . شارح سنن أبي داود . أن لفظ " أولادكم " يشمل الذكور والإناث على حدٍ سواء فهم مأمورون بتعلم الصلاة وما يتعلق بها من الشروط وهم أبناء سبع سنين ليعتادوا عليها ويستأنسوا بها[4]، ويعلل الإمام المناوي التفريق في المضاجع تعليلاً لطيفاً بقوله : " أي فرّقوا بين أولادكم في مضاجعهم التي ينامون فيها إذا بلغوا عشراً حذراً من غوائل الشهوة وإن كنّ أخواته"[5] ، فيفهم من مجموع هذا كله أن الطفل وهو ابن سبع سنين يكون كالغصن الطري يشكل كيفما يراد، فالتوجيه في هذه المرحلة والتركيز فيها هام جداً لقدرة الطفل على التقبل والتنفيذ، ويقع هذا منهم غالباً في هذه المرحلة لأنهم يحبون تقليد أبويهم فيما يفعلانه

---

(1) سنن أبي داود كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة:133/1 . للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت (275 هـ) . ط دار الفكر . دمشق . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

(2) المستدرك على الصحيحين كتاب الصلاة باب التأمين:389/1 . للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ت (405) . ط دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الثانية . 1423هـ، 2002م . تحقيق مصطفى عبد القادر عطا .

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري :348/9 . للإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت (852 هـ) . ط دار المعرفة . بيروت . 1379هـ، 1958م . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب .

(4) ينظر عون المعبود شرح سنن أبي داود :115/2 . للإمام أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي . ط دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الثانية 1415هـ ، 1994م .

(5) فيض القدير شرح الجامع الصغير :521/5 . تأليف عبد الرؤوف المناوي . ط المكتبة التجارية الكبرى . مصر . الطبعة الأولى . 1356هـ ، 1935م .

من أوجه الخير، كي ينالوا مزيداً من العطف والحنان، وقد أولاهم الرسول ﴿ﷺ﴾ عناية خاصة فقد جعل لهم صفوفاً خاصة في الصلاة تلي صفوف الرجال .

إذن يبدأ النصح بالصلاة في سن السابعة ويستمر إلى السنة العاشرة، وفي هذا العمر تتغير مشاعر الطفل، وتصبح مساحة الإدراك عنده أوسع فيميز بين الخير والشر ويعلم الأشياء على حقيقتها أكثر، وهنا تختلف طبيعة التوجيه ويتغير نوع التعامل ، فهنا يوجه النبي ﴿ﷺ﴾ الآباء والمربين إلى أن الطفل في هذا العمر إذا رفض أداء الصلاة فإنه يُضرب على تركها كي يعلم عظم مكانتها، ولكن الضرب هنا ليس ضرباً مبرحاً وإنما هو ضرب للتأنيب، فالطفل في هذه المرحلة تطور لديه الإحساس وازداد فتكفيه نظرة زجر في التوجيه فضلاً عن العتاب والتوبيخ، كما ينبغي في هذه المرحلة أن يُفرّق بين الأطفال في منامهم، فيُعزل الأبناء عن البنات، لأن في هذا العمر تبدأ الشهوة بالتحرك في نفسه، فيشعر بالشهوة ولا يشعر بالخطر الذي يصاحبها.

فكان كل هذا التوجيه باعثاً على نشأة الطفل نشأة الصلاح والتقوى، وليتدرب على الأعمال الصالحة، التي هي سلاحه الذي سيحمله في وجه عدوه العنيد في معركته الوشيكة مع جبهة معارضيه الثلاثة المتمثلة في نفسه الأمارة بالسوء وشيطانه المريد وأقران السوء في مجتمعه.

وفي موقف آخر تتجلى فيه عظمة التوجيه النبوي الكريم، يتابع النبي ﴿ﷺ﴾ من خلاله سلوك طفلٍ صغير ويدله على السلوك الحسن، فعن عمر بن أبي سلمة ﴿رضي الله عنه﴾ قال : " كنت غلاماً في حجر رسول الله ﴿ﷺ﴾ فكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﴿ﷺ﴾ : يا غلام سَمِّ الله تعالى وكل بيمينك وكل مما يليك . فما زالت طعمتي بعد ذلك " **حديث صحيح رواه البخاري[1] ومسلم[2] والبيهقي[3] وابن ماجه[4]**.

---

(1) صحيح البخاري كتاب الأطعمة باب التسمية على الطعام والأكل باليمين:2056/5 . للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ت (256هـ) . ط دار ابن كثير . بيروت . الطبعة الثالثة . 1407هـ، 1987م . تحقيق د. مصطفى ديب البغا .

(2) صحيح مسلم كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما: 1599/3. للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ت (261هـ) . ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(3) سنن البيهقي الكبرى كتاب جماع أبواب الوليمة باب الأكل مما يليه: 277/7 . للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت (458هـ) . ط مكتبة دار الباز . مكة المكرمة . 1414هـ، 1994م . تحقيق محمد عبد القادر عطا .

(4) سنن ابن ماجه كتاب الأطعمة باب الأكل باليمين: 1087/2 . للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت (275هـ) . ط دار الفكر . بيروت . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

لقد ترك هذا التوجيه العظيم أثراً كبيراً في نفس عمر بن أبي سلمة بهذه النصيحة الصغيرة، لتفعيل السلوك الحسن حتى قال فيها " فما زالت طعمتي بعد " ولينتقل هذا التوجيه العظيم حتى إلى الكبار من أمة الحبيب محمّد ﴿ﷺ﴾ فالمسلمون جميعاً الآن في هذا العصر يطبقون ذلك التوجيه فيسمُّون الله تعالى عند كل أكلة يأكلونها ويأكلون باليمين ويأكلون مما يليهم.

المطلب الثاني:الحث النبوي الشريف على تحقيق العدل والمساواة بين الأطفال لتقويم سلوكهم:

إن شعور الطفل الصغير بأن أحد أبويه يميل إلى أخيه، ويرعاه ويدلّه أكثر منه، سيجعل في هذا الطفل شراسة لا يقوى الأبوان على الصمود أمامها، وحسداً لا يستطيع الوالدان كبح جماحه، ومهما قدّم الأبوان من النصائح والتوجيهات والترغيب والترهيب، فلن تكون له أي جدوى ما لم يلتزما بالعدل والمساواة بين الأطفال مادياً ومعنوياً، وليحذرا من إظهار ميلهم القلبي أمام أطفالهم.

لقد أكد النبي ﴿ﷺ﴾ على تحقيق العدل والمساواة بين الأبناء وذلك أنجع في كبح جماح السوء بينهم، لأن الأطفال يولون هذا الأمر اهتماماً كبيراً، ويراقبون آبائهم وأمهاتهم في معاملة إخوتهم وأخواتهم، وإذا رصدوا هكذا حالة من الميل والاهتمام فإنه يتولد لديهم شعور بالنقص، ويبدأ هذا الإحساس بالتنامي إلى أن يتحول إلى حالة من الشعور بالبغض والكراهية أولاً تجاه إخوته وأخواته المفضلين عليه، ثم إذا بقي هذا الأمر على حاله وبقي الطفل يرصد ميل أبويه إلى إخوته أو أخواته أكثر من ميلهم له فإنه سيتحول هذا الشعور بعد أن ازداد وكبر كراهية وحقداً تجاه أبويه نفسيهما، وهذا الأمر سينغص حياة الأسرة ويؤدي إلى تفككها، كما سيؤدي إلى خلق عنصر التهيؤ للجريمة في نفس ذلك الطفل.

فمن الضروري النظر في المنهج النبوي الشريف وفي كيفية معالجة هذه الظاهرة، والتفكر في جوانب وأبعاد الخطاب النبوي الشريف في حث الآباء والأمهات على تحقيق العدل والمساواة بين الأولاد . ذكوراً كانوا أو إناثاً . ففي سنة رسول الله ﴿ﷺ﴾ دعوة صريحة في الترغيب في تفعيل هذه العدالة والمساواة بين الأبناء، فعن النعمان بن بشير (رضي الله عنهما) : " أن أباه أتى به رسولَ الله ﴿ﷺ﴾ فقال : إني نَحَلْتُ ابني هذا . أي أعطيته . غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : أكلَّ ولدك نحلته مثل هذا ؟ فقال : لا، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : فأرجعه " **حديث صحيح رواه البخاري**[1]**ومسلم**[2]، وفي رواية لمسلم أيضا فقال: يا رسول الله اشهد أني قد نحلت النعمان كذا وكذا من مالي، فقال: أكل بنيك قد نحلت مثل ما نحلت النعمان؟ قال: لا ، قال:

(1) صحيح البخاري كتاب الهبة وفضلها باب الهبة للولد : 913/2 .

(2) صحيح مسلم كتاب الهبات باب كراهة تفضيل الأولاد في الهبة : 1241/3 .

فأشهد على هذا غيري، ثم قال: أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟ قال: بلى، قال: فلا إذاً " **حديث صحيح رواه مسلم**[1].

وفي موقف آخر يظهر عظمة الإرشاد النبوي الكريم، والعناية النبوية الكريمة في تقويم سلوك الأطفال من خلال الحفاظ على مشاعرهم وأحاسيسهم وكبت جماح الشر في جوانبهم مهما كانت ضئيلة وقليلة، فيروي الصحابي الجليل أنس بن مالك ﴿رضي الله عنه﴾: " أن رجلاً كان جالساً مع النبي ﴿ﷺ﴾ فجاء بُنيٌّ له، فقبله وأجلسه في حجره، ثم جاءت بنيةٌ فأخذها فأجلسها إلى جنبه، فقال النبي ﴿ﷺ﴾ : فما عدلت بينهما " **رواه ابن عدي**[2]**وفي إسناده عبد الله بن معاذ الصنعاني ضعفه بعضهم ووثقه يحيى بن معين وغيره**[3].

فعند التأمل في هذه الأحاديث الشريفة والبحث بين زوايا ألفاظها تبرز المعاني السامية التي تجسد الاهتمام العظيم للرسول ﴿ﷺ﴾ بهذا الجانب الذي أغفله كثير من الآباء بل حادوا عنه ولم ينتبهوا إلى الخطر المتنامي في جوانح الأطفال والآثار الخطرة المترتبة على هذا التفاضل التعسفي .

فيظهر من خلال التأمل في الأحاديث الواردة في هذا الأمر مظهران رئيسان من مظاهر تحقيق العدالة والمساواة بين الأبناء وهما :

المظهر الأول :

العدل في العطية والهبة للأولاد وهذا أمر له من الأهمية بمكان في بسط ساحة الرضا والقناعة بين الأولاد، فالأب الذي يحافظ على العدالة بين أبناءه فيهب لهم جميعاً ما يهبه لأحدهم . وإن كان على سبيل التناوب . يكون هذا كفيلاً في تحقيق العدالة بينهم، وعدم نظر أحدهم إلى أعطية الآخر، وعدم امتعاضه واستهجانه للآخر، وفي نفس الوقت سينشأ في داخل الأطفال شعور عظيم بمحبة أبيهم وأمهم لهم وسينمو معهم هذا الشعور فينقلوه إلى أولادهم مستقبلاً .

المظهر الثاني :

العدل في توزيع المشاعر بين الأبناء . ذكوراً كانوا أو إناثاً . من حيث إظهارها على تصرفات الأب والأم مع الأبناء، ففي حديث أنس ﴿رضي الله عنه﴾ السابق الذكر، ينصب التوجيه النبوي الشريف على تحقيق العدل والمساواة بين الابن والبنت على حدٍّ سواء، ويظل الرسول ﴿ﷺ﴾ معلم البشرية وأستاذ الإنسانية جمعاء، يراقب تصرف ذلك الوالد تجاه ابنه الذي أقبل فقبّله وأجلسه في

---

(1) المصدر السابق : 1243/3 .

(2) الكامل: 239/4 . للإمام أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ت (365هـ) . ط دار الفكر . بيروت . الطبعة الثالثة . 1409هـ ، 1988م . تحقيق يحيى مختار غزاوي .

(3) ينظر عون المعبود لأبي الطيب محمد شمس الحق: 299/10.

حجره، بخلاف ابنته التي لم يقبّلها وأجلسها بجانبه، فيوجّه﴿ﷺ﴾ خطاب العدل والمساواة إلى ذلك الأب ويأمره ضمناً أن يعدل بينهما في هذا الأمر، وفي هذا التوجيه النبوي آثار طيبة في إذكاء روح الألفة والمحبة والتواضع والإيثار بين الأباء والأبناء، فلو لم يوجّه النبي ﴿ﷺ﴾ نصحه لهذا الأب، لربما تولد للبنت شعور بأنها مضطهدة لجنسها، وأن أنوثتها هي السبب في إحداث هذا التفاضل العشوائي، وربما ستجري تغييراً على طبيعتها وتحاول تقليد الابن في كل أفعاله كي تستحوذ على كمٍ أوفر من العطف والحنان الذي يمنحه والدها لأخيها، كما أنها ربما يتولد لها شعور بالكراهية تجاه أخيها الذي لا محالة سيقوم هو باستهجانها واستصغارها لأنه فاز بحجر أبيه دونها وربح كماً وافراً من حنان أبيه واهتمامه دونها، وسينمو هذا الشعور بداخله ويكبر معه إلى أن يصل به الأمر في المستقبل إلى ازدراء مشاعرها وإلغاء هويتها وغمط حقوقها .

فهذه المواقف تبين الآفاق الواسعة للرؤية النبوية لهذه الأبعاد في تحقيق العدالة والمساواة بين الأبناء .

المطلب الثالث:أبعاد الخطاب النبوي الشريف إلى الأطفال وأثره في تقويم سلوكهم:

تتعدد أوجه الخطاب النبوي الشريف إلى الأطفال باختلاف الظروف والحاجات، فالنبي ﴿ﷺ﴾ هو أفضل من يتحين الفرص لإسداء النصيحة والإرشاد للنهوض بالمجتمع بأسره إلى أرقى درجات الكمال، وأعلى مراتب المجتمع المثالي، وقد كان لهذا النهج النبوي الشريف أثر كبير في تقويم سلوك الصغار الذين وجه الرسول ﴿ﷺ﴾ إليهم الخطاب، فعملوا بوصاياه الكريمة وأخذوا بتعاليمه العظيمة وحققوا من خلالها السلوك الحسن والخلق الكريم الذي انتقل إلى سائر الأمة جيلاً بعد جيل، وفيما يأتي جملة من وصايا النبي الكريم والسيد العظيم ﴿ﷺ﴾ التي تعكس العنصر النبيل في الخطاب النبوي الشريف إلى الأطفال وأحداث السن، لتكون المثل الأعلى الذي يحتذى به.

ولتكن البداية مع ترجمان القرآن الصحابي الجليل ابن عباس (رضي الله عنهما) الذي وجه له النبي ﴿ﷺ﴾ خطاباً جمع فيه أوجه الخير وأوعاها، وكان شاملاً عاما لابن عباسٍ وغيره، فقد أخرج الترمذي عن ابن عباسٍ (رضي الله عنهما) أنه قال: " كنت خلف النبي ﴿ﷺ﴾ يوماً فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله

عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف " **رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح**[1]، وقد جاء في شرح هذا الحديث الشريف أن قول النبي ﴿ﷺ﴾: " إحفظ الله يحفظك " أي احفظ حق الله تعالى حتى يحفظك من مكاره الدنيا والآخرة، ويصرف عنك السوء والبلوى، وحفظ حق الله تعالى يكون بطاعته والتزام أوامره والبعد عما نهى عنه وزجر، والصغار يدركون حقيقة التحذير ويعلمون أبعاده، وأن سؤال الله تعالى وحده في قوله ﴿ﷺ﴾: " إذا سألت فاسأل الله " أي في ما لا يستطيع على فعله إلا الله تعالى من شؤون الدنيا والآخرة، وكذلك في الاستعانة، ويشير الحديث الشريف إلى حقيقة التوكل، وأبعاده في حياة المؤمن بالله تعالى الواثق به والمتوكل عليه، فيتولد من خلال هذا التوجيه الكريم شعور بأن النفع والضر هما بيد الله وحده، وأنه لا يقع شيء في الكون إلا بتقديره وتدبيره تبارك وتعالى، وقوله ﴿ﷺ﴾: " رفعت الأقلام وجفت الصحف " أي تم تقدير الله تعالى على هذا الأمر وكتب في اللوح المحفوظ، فعبر عن سبق القضاء والقدر برفع القلم وجفاف الصحيفة تشبيها بفراغ الكاتب من كتابته، فلا يقع في الكون إلا ما يريده الله تعالى وقد سبق ذلك في علمه وتقديره، وأن ما في اللوح المحفوظ هو من أقدار الله تعالى، فيجب الرضا والقناعة به[2]ويمكن إجمال أبعاد هذا الحديث الشريف فيما يأتي :

1. تعليم الصغير بأن هناك رقيباً يراقب أفعاله صغيرها وكبيرها ومطلعاً على حاله وهو الله تعالى فلا ينبغي أن يفعل فعلاً يغضب الله تعالى عليه .
2. تفهيم الطفل بأن الله تعالى قادر على حفظه ويزداد حفظ الله تعالى له كلما تقرب إلى الله تعالى بالطاعة والعبادة والالتزام بالسلوك الحسن .
3. إن من عادة الطفل أن يسأل الآخرين حوائجه، فينبغي إيضاح حقيقة هامة من خلال هذا المفهوم لدى الطفل بأن الله تعالى يحبه ويعطيه ما يسأله لكن في الأمور التي لا يستطيع الآخرون منحها له .
4. إخبار الطفل بحقيقة أمر عظيم وهو التوكل على الله تعالى وتبيين هذا المعنى له بأن الله تعالى قادر على حفظه ورعايته من شر من يريد إيذائه وإلحاق السوء به .

وفي موقع أداء العبادة، وفي ساحة الصلة بين العبد وربه، في المسجد يتجسد الخطاب النبوي الشريف في تعليم الصغير كيفية التعامل مع الله تعالى ومع العبادة التي يمثل بها بين يدي الله تعالى، فقد أخرج الترمذي عن أنس ﴿رضي الله عنه﴾ قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : " يا بني، إياك

---

(1) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة والورع عن رسول الله (ﷺ) برقم (2516): 667/4 . للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ت (279هـ) . ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . تحقيق أحمد محمد شاكر .

(2) ينظر تحفة الأحوذي : 186/7 . للشيخ محمد عبد الرحمن المباركفوري ت (1353هـ) . ط دار الكتب العلمية . بيروت .

والالتفات في الصلاة، فإن الالتفات في الصلاة هلكة[1]، فإنْ كان ولا بدّ، ففي التطوع لا في الفريضة " **رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب**[2].

فيظهر في هذا الحديث الشريف التوجيه النبوي بأبهى حلة وأجمل رونق، وهو موقف يقف فيه النبي ﴿ﷺ﴾ موقف الأب الحنون العطوف الذي وصل به عظيم حنانه وعطفه إلى الحرص الشديد على الطفل الصغير وتوجيهه حتى في الأمور العفوية، فالطفل في هذه السن لا يمكن ضبط حركاته وجعلها كحركات الكبير، فالحديث الشريف بيّن بجلاء هذا المعنى، فقد أخبر النبي ﴿ﷺ﴾ أنساً ﴿رضي الله عنه﴾ أن الالتفات في الصلاة هلكة، وقصد رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن الالتفات في الصلاة هو من وسوسة الشيطان للإنسان ليكسر طوق الخشوع لله الذي يحيط بالمصلي ويعزله عن أمور الدنيا ومغرياتها ويفرده بين يدي ربه . جل وعز . ليشعر بنعيم العبادة وحلاوة الإيمان في خالص الصلة بالله . عز وجل . فيبدأ الشيطان ببث وساوسه ليخل بخشوع المصلي فيفقد المصلي من صلاته بقدر ما انفصل به عن الله تعالى حسناتٍ ودرجاتٍ، وهذه هي الهلكة[3]، ثم إن النبي ﴿ﷺ﴾ أتبعه بخطاب راعى فيه جوانب الطفولة وطبيعة الأطفال في كثرة الحركة وعدم انضباطها فقال له في الالتفات في الصلاة: " فإنْ كان ولا بدّ، ففي التطوع لا في الفريضة "، ويمكن إجمال أبعاد هذا التوجيه العظيم فيما يأتي:

1. تنبيه الأطفال إلى وضع الأمور في نصابها، وإدراك حقيقة الفعل الذي يقومون به.
2. تحذير الطفل من مخالفة الأمور الصحيحة لأن مآلها سيكون إلى الضرر والندم وربما إلى الهلاك في المستقبل إنْ بقي يتساهل في الأخطاء الصغيرة، فإنه سيقوده لا محالة إلى استصغار عظائم الأمور، وهذا من الطبيعي ستكون نتيجته الهلاك .
3. تنبيه الأطفال على ضرورة الأخذ بنصيحة الآخرين والتمسك بها لخبرتهم وتجربتهم في الحياة والتي لا شك أنها تجنب الأطفال مخاطر عديدة يجهلونها .
4. ضرورة تعليم الصغير حقوق الله تعالى عليه، وكيف يتعامل مع أوامره تعالى، وهذا سيقوده إلى التحري والبحث والاستقصاء عن كل الأمور التي أمر الله تعالى بها ليفعلها وينفذها جميعاً بعد أن تتولد له قناعة تامة بأن الله تعالى سيرضى عنه بقدر طاعته له وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .

---

(1) الهلَكَة . بفتحتين .: أي هلاك، لأنه طاعة للشيطان وهو سبب الهلاك، وهو على ثلاثة أوجه: افتقاد الشيء عندك وهو عند غيرك موجود كقوله تعالى: ((هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ)) **[الحاقة : 29]**، وهلاك الشيء باستحالته، والثالث الموت كقوله تعالى: ((إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ)) **[النساء : 176]**، والصلاة بالالتفات تستحيل من الكمال إلى الاختلاس المذكور. ينظر تحفة الأحوذي للمباركفوري: 160/3.

(2) سنن الترمذي كتاب أبواب الصلاة عن رسول الله (ﷺ) باب ما ذكر في الالتفات في الصلاة: 484/2.

(3) ينظر الهامش (2) الصفحة 10.

5. مخاطبة الأطفال على قدر عقولهم وعدم تكليفهم بما لا يستطيعون، بل تكليفهم بالمقدور عليه أفضل من تركهم للشيء أصلاً، وهذا المعنى أرشد إليه قوله ﴿ﷺ﴾: " فإنْ كان ولا بدّ، ففي التطوع لا في الفريضة " .

وهكذا تقاس هذه الاستنتاجات على بقية أحاديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ وتحديد أبعاد التوجيه النبوي فيها على هذا المنوال .

المبحث الثاني : أثر التوجيه النبوي في سلوكيات الشباب :

المطلب الأول : التأكيد النبوي الشريف على الاهتمام بالشباب ورعايتهم :

لقد أولى النبي ﴿ﷺ﴾ اهتماماً كبيراً لعنصر الشباب، فعليهم يستند المجد، وبهم تقوم الحضارة، وعلى أساسهم تنهض الأمم .

ويبدأ الاهتمام بهذه الشريحة مع أول خيوط الشباب أي مع أول وقت المراهقة، وهي مرحلة من المراحل البالغة الأهمية، فهي مرحلة تتداخل بين الطفولة والبلوغ، يقول الدكتور (أحمد محمد الباليساني) في حديثه عن هذه المرحلة: " إنها مرحلة لا يمكن أن يسمى فيها الطفل طفلاً ولا أن يسمى بالغاً، لأنها مرحلة انتقالية تتداخل فيها صفات الطفولة بصفات البلوغ وتختلط، ولذلك نراه يتصرف أحياناً تصرفات طفولية، وأحياناً أخرى يعمل أعمال البالغين"[1].

ويقول الأستاذ (محمد حسين) في حديثه عن هذه المرحلة: " يعتبر بلوغ الحلم، أو البلوغ الجنسي حدثاً هاماً في حياة الفرد، حيث يتغير إلى كائن جنسي ذي خصائص جديدة، وفترة البلوغ متداخلة مع فترة الطفولة من حيث التحوّلات التي تحدث للفرد، والطفل لا يعتبر نفسه في فترة المراهقة طفلاً، لما طرأ عليه من تغيّرات أصبح يشارك فيها الكبار"[2].

ومن المعلوم أن لهذه المرحلة علامات تظهر على المراهق أو المراهقة معلِنة أن ساعة التكليف قد بدأت، وأن مرحلة الطفولة قد انتهت، وقد بيّن النبي ﴿ﷺ﴾ أن مرحلة البلوغ هي الحد الفاصل بين مرحلتين في حياة الإنسان، الأولى مرحلة ما قبل البلوغ، حيث يعفى من تحمل المسؤولية الكاملة عن أفعاله، من حيث المؤاخذة والعقاب، والمرحلة الثانية تبدأ بمجرد البلوغ، فيتحمل المسؤولية كاملة عن كل أفعاله فيجازى عليها بالثواب والعقاب، ومن هذا المنطلق قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: " رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق " **حديث حسن رواه الترمذي**[3]**والنسائي**[1].

---

(1) واجب الآباء والأمهات تجاه الأبناء والبنات في الإسلام : ص181 . ط مطبعة شفيق . بغداد . 1408هـ، 1988م .

(2) العشرة الطيبة : ص 399 . ط دار الدعوة . الإسكندرية . الطبعة الثالثة . 1425هـ، 2004م .

(3) سنن الترمذي كتاب الحدود باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد: 32/4.

إن هذا التوجيه النبوي لبالغ الحلم . أي المراهق . إنما هو إشعار له بأنه قد أصبح شخصاً آخر، وتحول من فرد يعتمد على الآخرين في كل شيء إلى فتى قوي يعتمد على نفسه، وأن مدارك فكره قد تحولت وتغيّر مجراها من مرحلة اللعب واللهو إلى مرحلة الجد والعمل والبحث عن المنافع، ويتجه فكره إلى أنه دخل في مرحلة إعداد كي يُعدّ ويأخذ دوره في الحياة، ويكون قسيماً مشاركاً لأقرانه في طرح الأفكار وإبداء الرأي وحرية التعبير المتزن، فالنبي الكريم ﴿ﷺ﴾ يبيّن له أنّ القلم لم يكن يجري عليه . أي لم يكن يحاسب على ما اقترف سابقاً . أما الآن فقد أخذ موقعه في الحياة وأصبح إنساناً يُحسَب له حسابه، وتلتفت إليه الأنظار في أخذ مواقع الصدارة والقيادة والريادة في الحياة، وهذا توجيه عظيم في بناء الشباب وهو إشعارهم بأنهم أصبحوا قادة في الحياة، فالصبي أصبح بالغاً قادراً على العمل والمثابرة ووضع اللبنات الأولى لبناء بيته الأسري، وكذلك الفتاة حين بلوغها تصبح أمام دورها القيادي في المجتمع، فتترك وتذر اللعب واللهو وتتوجه طاقاتها إلى التعلم وأخذ مكانها المناسب والتعلم من أمها كل الأمور التي يُدار بها المنزل وتنشأ في ظلها الأسرة .

وتقع المسؤولية في إعانة هذه الشريحة على المربين والموجهين والمصلحين جميعاً، وهذا ما ذكره الدكتور (عبد الله ناصح علوان) من أن المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربين من آباء وأمهات ومعلمين ومرشدين تحدد في تعليم الولد منذ أن يميز الأحكام الشرعية التي ترتبط بميله الغريزي ونضجه الجنسي، والذكر والأنثى في هذا التعليم سواء لكونهما مكلفين شرعاً، ومسؤولين عن عملهما أمام الله . عز وجل . وأمام المربين وأمام المجتمع، لذا وجب على المربي أن يصارح المراهق أنه إذا نزل منه منيٌّ ذو دفق وذو شهوة، أصبح بالغاً ومكلفاً شرعاً، يجب عليه ما يجب على الرجال الكبار من مسؤوليات وتكاليف، ووجب على المربية أن تصارح البنت إذا بلغت سن التاسعة فما فوق وتذكرت احتلاماً ورأت الماء الرقيق الأصفر على ثوبها بعد الاستيقاظ، أصبحت بالغة ومكلفة شرعاً، يجب عليها ما يجب على النساء الكبار من مسؤوليات وتكاليف، وكذلك وجب على المربية أن تصارح البنت إذا بلغت سن التاسعة فما فوق ورأت دم الحيض، أصبحت بالغة ومكلفة شرعاً، يجب عليها ما يجب على النساء الكبريات من مسؤوليات وتكاليف[2] .

---

(1) سنن النسائي كتاب الطلاق باب ما لا يقع طلاقه من الأزواج: 156/6 . للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت (303هـ) . ط مكتب المطبوعات الإسلامية . حلب . الطبعة الثانية . 1406هـ، 1986م . تحقيق الشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدة .

(2) ينظر تربية الأولاد في الإسلام : 427/2و428 . ط دار السلام . القاهرة . الطبعة الثانية والثلاثون . 1419هـ، 1999م .

ثم تلي المرحلة الأولى من التوجيه النبوي الكريم المرحلة الثانية وهي إعطاء الشباب دورهم في المجتمع، فبعد إشعارهم بالمسؤولية تجاه دينهم ومجتمعهم، تبدأ المرحلة الثانية من التوجيه النبوي الكريم في إعداد الشباب وتوجيههم، ألا وهي إعطاؤهم الدور الفعال في المجتمع، والمتطلع إلى سيرة رسول الله ﴿ﷺ﴾ يجد هذا جلياً واضحاً وضوح الشمس في كبد السماء الصافية، يجد أن دعوة الإسلام في طورها الأول هي أهم ركائز هذا الدين، واللبنة الأولى فيه، قد قامت على أكتاف معدودة كان الشباب أغلبها مثل علي بن أبي طالب وكان يومئذ ابن عشر سنين، والزبير بن العوام الذي أسلم وله اثنتا عشرة سنة، وزيد بن حارثة وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص[1]وغيرهم ﴿رضي الله عنهم﴾ اعتمد عليهم النبي ﴿ﷺ﴾ وأسند إليهم مهاماً عديدة وخطيرة، وليس هذا فحسب بل أعطاهم الرسول ﴿ﷺ﴾ القيادة والريادة، فقد عقد اللواء للصحابي الشاب أسامة بن زيد الحِب وابن الحِب (رضي الله عنهما) وكان جيشاً كبيراً أعده النبي ﴿ﷺ﴾ لقتال الروم في عقر دارهم، وكان عمر أسامة وقتها ثماني عشرة سنة[2]، فهذه عناية بالغة من الحبيب المصطفى ﴿ﷺ﴾ بالشباب والسيرة العطرة مليئة بمثل هذه المواقف.

المطلب الثاني: المنهج النبوي الشريف في التعامل مع أخطاء الشباب وإصلاحها :

من الطبيعي جداً أن يقع الشباب في بعض الأخطاء خلال حياتهم، وتختلف هذه الأخطاء باختلاف طبيعة الشباب أنفسهم، فمن الشباب من يقع في أخطاء طفيفة لقوة وازعه الديني والخلقي، ومنهم من يقع في أخطاء جسيمة لضعف وازعه الديني والخلقي، ولكل من هذين النوعين من الأخطاء سبل المعالجة والتصحيح، وقد كان النبي ﴿ﷺ﴾ يرصد هذه الأخطاء ويعدّ لها الدواء الناجع الفعال، وقد وقعت بين الشباب أخطاء وجدت لها اهتماماً كبيراً من رسول الله ﴿ﷺ﴾ فاستطاع علاجها بأسلوب منقطع النظير، ومن هذه المواقف ما رواه أبو أمامة ﴿رضي الله عنه﴾: " أن غلاماً شاباً أتى النبي ﴿ﷺ﴾ فقال: يا نبي الله، أتأذن لي في الزنا؟ فصاح الناس به، فقال النبي ﴿ﷺ﴾ قربوه.. أدنُ، فدنا حتى جلس بين يديه، فقال النبي ﴿ﷺ﴾: أتحبه لأمك؟ فقال: لا، جعلني الله فداك! قال: كذلك الناس لا يحبونهم لأمهاتهم، أتحبه لابنتك؟ قال: لا، جعلني الله فداك! قال: كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتحبه لأختك؟ قال: لا، جعلني الله فداك! قال: كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم. ثم ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحدة: لا، جعلني الله فداك! فوضع رسول الله ﴿ﷺ﴾ يده على صدره وقال: اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصّن

(1) ينظر الإصابة في تمييز الصحابة: 533/2 . للإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . ط دار الجيل . بيروت . الطبعة الأولى . 1413هـ، 1992م . تحقيق علي محمد البجاوي .

(2) ينظر المصدر السابق : 49/1 .

فرجه. فقام من بين يدي رسول الله ﴿ﷺ﴾ وليس شيء أبغض إليه من الزنا " **إسناده حسن رواه أحمد**[1]**والطبراني**[2].

فهذا موقف تتفجر الحكمة من جوانبه يقفه الحبيب ﴿ﷺ﴾ أمام شاب قد تلاطمت أمواج الشهوة في قلبه، واضطرمت نار النزوة في أحشائه، حتى فقد سيطرته على أحاسيسه واختل توازنه في كبح شهوته، فضعف منسوب العقلانية ليرتفع أمامه مستوى الشهوانية، لكن نسبة الخير في هذا الشاب جيدة، ولولاها لوقع في الزنا دون الحاجة إلى استئذان النبي ﴿ﷺ﴾، ثم إن النبي الكريم ﴿ﷺ﴾ لو علم أن هذا الشاب جاء مستحلاً لما حرّم الله ومستهيناً بعقوبة الله تعالى للزاني لما خاطبه بهذا الخطاب بل كان سيغضب غضباً شديداً، لأنه عهد على رسول الله ﴿ﷺ﴾ أنه كان لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله تعالى، لكنه علم بنور النبوة أن هذا الشاب لديه مشكلة متأزمة صعب عليه حلها وعلاجها فجاء قاصداً رسول الله ﴿ﷺ﴾ لحل مشكلته ومعضلته، فهو يعلم جيداً أن الزنا محرّم، وأن رسول الله ﴿ﷺ﴾ لن يرخّص له بالزنا، ولكنه يبحث عن سبل يقاوم بها غوائل نفسه وشيطانه المريد، لكنه أخطأ التصرف، ولم يحسن اختيار الطريق الذي يستشف فيه العلاج للداء الذي أصابه، فدخل الشاب على رسول الله ﴿ﷺ﴾ وطلب منه ما طلب، فكان من الطبيعي جداً أن يثور الصحابة الكرام، وتنتفخ أوداجهم غضباً من صنع هذا الشاب الذي تجاوز على مقام رسول الله ﴿ﷺ﴾، لكن الحبيب المصطفى الرحمة المهداة استطاع استيعاب الموقف، وعلم أن أسلوب الغضب والعقاب لن يفيد في إخماد نار الشهوة المتأججة بين جوانح هذا الشاب، لذا عمد ﴿ﷺ﴾ إلى أسلوب حكيم لا يستطيع الإنسان السوي السكوت عليه، ألا وهو إثارة غيرته على عرضه وشرفه، فبدأ رسول الله يذكر له ويبيّن له كيف سيكون شعوره إذا رأى إحدى محارمه في هذا الموقف، وفي كل طرحٍ يقدم له النبي ﴿ﷺ﴾ دواءً ناجعاً يخفف عنه غوائل الشهوة إلى أن بقي منها جزء يسير، فمد يده الشريفة يد الطبيب المعالج لينتزع بقايا وآثار هذه النار المتقدة التي آذت هذا الشاب، ثم أعطاه ثلاث هدايا تكريماً له على احترام نسبة الإيمان في قلبه والتي حجزته عن الوقوع في الزنا، وكانت هذه الهدايا الثلاث عبارة عن دعوات ثلاث ما أسرعها في استئصال الداء، قال ﴿ﷺ﴾: "اللهم طهر قلبه"، لأن القلب قد تلطخ بشيء من قاذورات النفس والشيطان فحتماً يحتاج إلى تنظيف وتطهير، ثم قال ﴿ﷺ﴾: " واغفر ذنبه "، وذنبه أنه أخطأ في التعامل مع سيد الخلق محمّد ﴿ﷺ﴾، فقد أمر الله تعالى المؤمنين باحترامه

(1) مسند الإمام أحمد في مسند أبي أمامة برقم (22265): 256/5.

(2) المعجم الكبير مرويات محمد بن الوليد الزبيدي عن سليم بن عامر برقم (7679): 162/8. للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني . ط مكتبة العلوم والحكم . الموصل . الطبعة الثانية . 1404هـ، 1983م . تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي .

وتوقيره وأن يغضوا أصواتهم في حضرته وأن لا يجهروا له بالقول والخطاب كما يتخاطبون بينهم خشية ذهاب أعمالهم كلها، فقد قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾[1] ، فالشاب وقع في هذا وهو ذنب عظيم، فوهبه رسول الله ﴿ﷺ﴾ دعوة يُغفر بها له ذلك الذنب وغيره تكرماً وتفضلاً، ثم تلاه بدعوة ثالثة: " وحصّن فرجه "، أي احمه يا رب من الوقوع في هذا الزلل الخطير.

وبهذا عالج النبي ﴿ﷺ﴾ خطأ هذا الشاب بحكمة عظيمة وأسلوب حكيم، فلو أن النبي ﴿ﷺ﴾ ترك أصحابه في تلك الساعة يقتلونه، لخسرت الأمة شاباً صالحاً، وخسر المجتمع شخصاً نافعاً، ولو أمر ﴿ﷺ﴾ بجلده وتأديبه لما استطاع لهيب السياط على ظهره إخماد لهيب الشهوة المضطرم في صدره، ولكن هذه الحكمة البالغة، والأسلوب الرائع في التعامل مع أخطاء الشباب جعل هذا الشاب يقول: قبل أن أدخل على رسول الله ﴿ﷺ﴾ ما شيء في الدنيا أحب إلى قلبي من الزنا، وبعد أن وضع رسول الله ﴿ﷺ﴾ يده على صدري ما شيء في الدنيا أبغض إلى قلبي من الزنا.

وموقف آخر يتضح فيه المنهج النبوي في إصلاح أخطاء الشباب لفتاة من فتيات الإسلام هي أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين . رضي الله عنها وعن أبيها . حيث ذكرت السيدة أم المؤمنين عائشة الصديقة . رضي الله عنها .: " أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﴿ﷺ﴾ في ثياب رقاق، فأعرض عنها، وقال: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا. وأشار إلى وجهه وكفيه " **رواه أبو داود وقال: هذا حديث مرسل**[2]**، قال الألباني: لكن له شاهد من حديث أسماء بنت عميس بنحوه، فالحديث بمجموع الطريقين حسن**[3].

إن التدبر في هذا الحديث الشريف يبرز بوضوح حسن تعامل النبي ﴿ﷺ﴾ مع هذا الخطأ الغير مقصود من السيدة أسماء، ذاك أنها قد دخلت مرحلة البلوغ وجهلت أحكام هذه المرحلة، فدخلت تسلم على رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهي بتلك الحالة، فلم يوبخها رسول الله ولم يزجرها ولم يغلظ الكلام عليها، بل عاملها بعطف أبوي كبير، فبدأ ﴿ﷺ﴾ بمخاطبتها باسمها ولم يقل لها

---

(1) [سورة الحجرات :2]

(2) سنن أبي داود كتاب اللباس باب فيما تبدي المرأة من زينتها: 62/4.

(3) ينظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل في الكلام على الحديث المرقم (1795): 204/6 . تأليف محمد ناصر الدين الألباني . ط المكتب الإسلامي . بيروت . الطبعة الثانية . 1405هـ، 1985م . تحقيق زهير الشاويش.

يا ابنتي أو غيرها من الألفاظ التي كان يخاطب بها الصغار، وذلك لإشعارها أنها أصبحت بالغة وأصبح لها شخصية خاصة واستقلالية في التفكير فينبغي عليها أن تتدرك أن مرحلة الطفولة قد انتهت، وأنها أصبحت سيدة في المجتمع تتمتع بكل حقوق المرأة في الإسلام، ويؤكد هذا المفهوم قول رسول الله ﴿ﷺ﴾: " إن المرأة إذا حاضت " فذكرها بأنها أصبحت امرأة ولم تعد طفلة صغيرة، ويلاحظ هنا في التوجيه النبوي العظيم أن الخطاب كان موجهاً لجنس المرأة وكأنه ﴿ﷺ﴾ يستشهد بامرأة مجهولة، حفاظاً على مشاعرها، ورعاية لحيائها، ثم أخبرها ﴿ﷺ﴾ الحد المسموح في إظهاره وهو الوجه والكفان.

المطلب الثالث:نماذج من الوصايا النبوية الشريفة إلى الشباب لتحصينهم وتقويم سلوكهم:

لقد وجّه النبي ﴿ﷺ﴾ إلى الشباب وصايا غاليات، شملت أهم جوانب حياتهم اهتماماً منه ﴿ﷺ﴾ بهم ورعاية لهم، وعند التأمل في أحاديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ الخاصة بخطابه للشباب تتجلى وصايا عظيمة تحث الشباب على الاستقامة والعمل الصالح وتحقيق النفع للمجتمع، وهي كثيرة لا يتسع المجال لذكرها جميعاً، لذا سأذكر بعض وصاياه ﴿ﷺ﴾ في جوانب ثلاثة وهي: الصحبة الصالحة و الإحصان من الشيطان وطلب العلم، وقد اخترت هذه الجوانب الثلاثة لأنها الجوانب التي يحتاجها الشخص في الجانب التربوي من المرحلة الابتدائية إلى مرحلة التخرج من الكلية وأخذ الموقع الفعال في المجتمع في أي موقع من مواقع الحياة .

الجانب الأول: الصحبة الصالحة :

قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: " مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة " **حديث صحيح رواه البخاري**[1]**ومسلم**[2]**وابن حبان**[3].

ففي هذا الحديث الشريف يبيّن النبي الكريم ﴿ﷺ﴾ أثر الصحبة في حياة الفرد، فالصاحب الصالح والصديق الناصح شبهه بحامل المسك، فإما أن يهب الناس من المسك الذي عنده، وإما يشترون هم منه، وإما لا هذا ولا هذا لكنهم يجدون منه ريحاً طيبة لوجودهم بقربه، أي أن صاحب الأخلاق الطيبة، إما أن يعلم الآخرين من أخلاقه، وإما أن يتعلموا هم منه، فإن كان

(1) صحيح البخاري كتاب الذبائح والصيد باب المسك : 2104/5 .

(2) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب مجالسة الصالحين : 2026/4 .

(3) صحيح ابن حبان كتاب البر والإحسان باب الصحبة الصالحة : 321/2 . للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي ت (354هـ) . ط مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الثانية . 1414هـ، 1993م . تحقيق شعيب الأرنؤوط .

لا هذا ولا هذا فقد قضوا معه وقتاً طيباً في طاعة الله، واستفادوا من عشرتهم له في كل حال، وأما جليس السوء وصاحب السوء، فهو كنافخ الكير، الذي ينفخ الكير والناس بقربه، فإما أن يحرق ثيابهم ويحرقهم جميعاً بالشرر المتطاير من أفعاله، فإن لم يكن هذا فسيتأذون من نتن الريح المنبعثة من أفعاله، فهم في ورطة في الحالتين، فصاحب السوء وجليس السوء، إما يتعلم الآخرون من أخلاقه ويتأثرون بها، فيضلون عن الطريق وتزل أقدامهم ولا ينفعهم عندئذٍ الندم، فإن حماهم الله من التأثر به، فإنهم لا محالة قد خسروا وقتاً من حياتهم سيندمون عليه، لأنهم قد قضوه بعيداً عن طاعة الله تعالى .

وفي حديث آخر سئل رسول الله ﴿ﷺ﴾: " أي جلسائنا خير؟ فقال: من ذكركم اللهَ رؤيتُه، وزاد في علمكم منطقه، وذكركم بالآخرة عمله " **رواه أبو يعلى**[1]**ورجاله رجال الصحيح كما قال به الهيثمي**[2].

ففي هذا الحديث الشريف يذكر رسول الله ﴿ﷺ﴾ المواصفات العامة للصاحب الصالح، فهذا الصديق الذي دأب على العمل الصالح، يتفجر الخير من جوانبه، ويظهر الصلاح على وجهه، فبمجرد النظر إلى وجهه المستنير بعمله الصالح وأخلاقه العالية، فإنه يذكّر بوصايا الله تعالى للفرد تجاه أمته ومجتمعه في العمل على اغتنام الوقت فيما ينفع ويترك أثراً طيباً ينتفع به الفرد والمجتمع على حد سواء، وكذلك أوصى النبي ﴿ﷺ﴾ بصحبة من يزيد كلامه وحديثه علماً نافعاً، لا الذي يقتل أوقاته باللهو والسمر والقيل والقال والحديث الخاوي من معاني الإفادة، فالصديق المثالي هو من يستفاد من علمه الذي يجري على لسانه فلا ندم أبداً على أي وقت يقضى معه، ثم يذكّر الحبيب الموجّه ﴿ﷺ﴾، بأن من صفات الصديق المثالي هو الذي يذكّر بالآخرة عمله، وفي هذا إخبار عظيم من النبي ﴿ﷺ﴾ بأن من صفات الصديق الصالح أن يكون عمله مذكراً بيوم الحساب والوقوف بين يدي الله تعالى، فشدة حرص هذا الصديق على استثمار الوقت والتقدم نحو الأمام وعدم الالتفات إلى المغريات إنما هو إرشاد وتوجيه عظيم، لأنه سيكون مثلاً أعلى يحتذى به، فالفرق كبير والبون شاسع بين من يعمل ساعة في اليوم لتوفير النفع الخاص والعام، وبين من يعمل ساعات طويلة لنفس الغرض، فالثاني لا محالة أرجح في كفة الميزان، لأن الثمرة التي سيجنيها بعمله ذلك ستكون أكبر .

الجانب الثاني: الإحصان من الشيطان :

(1) مسند أبي يعلى كتاب الزهد باب أول مسند ابن عباس : 326/4 . للإمام أبي يعلى أحمد بن علي المثنى الموصلي ت (307هـ) . ط دار المأمون للتراث . دمشق . الطبعة الأولى . 1404هـ، 1984م . تحقيق حسين سليم أسد .

(2) مجمع الزوائد للإمام علي بن أبي بكر الهيثمي كتاب الزهد باب أي الجلساء خير : 226/10.

قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء " **حديث صحيح رواه البخاري**[1]**ومسلم**[2].

تشتمل هذه الوصية المباركة العظيمة على معانٍ قيمة تنم عن اهتمام كبير من النبي ﴿ﷺ﴾ بشريحة الشباب وتحصينهم ضد وساوس الشيطان، واستعمال السبل وتفعيل الإمكانات لدحر هذا العدو وقصم ظهره في المعركة المستمرة استمرار الإنسان في الحياة فالصراع المحتدم بين الإنسان والشيطان لا يتوقف إلا بموت الإنسان وانفصال روحه عن جسده، وهنا يوجّه النبي ﴿ﷺ﴾ وصيته إلى الشباب وينادیهم ويقول لهم: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج " والباءة هي كلفة الزواج ومئونته، وفي هذا الخطاب الكريم دعوة صريحة إلى العمل والجد والمثابرة واغتنام الوقت لتوفير سبل العيش وتحصيل ثمن الإحصان وجني ثمار العمل، فالنبي ﴿ﷺ﴾ يحث الشباب على الزواج، لأن في الزواج فوائد كثيرة أهمها إحصان الشاب والفتاة من الوقوع في الزلل، كما أن بالزواج تدوم الحياة ويحافظ على النوع البشري من الانقراض، خاصة أن الشباب يعيشون في زمن فُتحت لهم فيه أبواب الشهوات على مصراعيها، ودبَّ إليهم الفساد من أوسع أبوابه، ونجح الأعداء في استدراج كمٍّ كبير منهم إلى ميادين الفساد والإفساد، واستطاع الأعداء استخدام كثير من الفتيات كعنصر هام، وأعطوهنَّ دور البطولة في مسرحية الإفساد من خلال انجرار الفتاة إلى دعواتهم وتنفيذها لأوامرهم عبر الأزياء الخليعة التي تكشف جسدها وتعريه وتجعلها سلعة رخيصة بعد أن كانت جوهرة ثمينة مصونة في محار الالتزام والاحتشام .

فالشاب أصبح أمامه مغريات كثيرة وتيسرت له في ذلك أمور عديدة، وهنا تبرز أهمية وصية النبي ﴿ﷺ﴾ في حماية الشباب وجعلهم في حرز منيع وحصن قوي لا ينصدع في حربهم مع الشيطان، فبيّن لهم أن الزواج سلاح قوي يستعمله الشاب لقطع حبال الشيطان وتمزيق شباكه التي يحاول من خلالها اصطياد الشباب وإيقاعهم في الزلل، ولكن هناك قسم من الشباب تتيسر لهم أعمال بسيطة يحتاجون معها إلى مزيد من الوقت لتوفير تكاليف الزواج، وهنا يحتاج هذا الشاب إلى مسكنات تخفف عليه أعباء ثورة الشباب، فتأتي الوصايا النبوية لإعانة هذا الشاب والتخفيف عن كاهله، فيخبره رسول الله ﴿ﷺ﴾ بالحل الأمثل ويقول له: " ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء " والوجاء هو الوقاية من الوقوع في الزلل والخطأ، وأن الصوم يكسر شدة الشهوة، ويضيق على الشيطان منافذ الوسوسة إلى قلب هذا الشاب المفعم بالأمل في حياة هادئة .

الجانب الثالث: طلب العلم :

(1) صحيح البخاري كتاب النكاح باب من لم يستطع الباءة فليصم : 1950/5.

(2) صحيح مسلم كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه : 1018/2.

يقول معلم الإنسانية وأستاذ البشرية ﴿ﷺ﴾ في وصاياه بطلب العلم: " من سلك طريقاً فيه يلتمس علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة " **حديث صحيح على شرط الشيخين رواه الحاكم وأقره الذهبي**[1]، ويقول أيضاً ﴿ﷺ﴾: " من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع" **رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب**[2].

لقد أوصى النبي ﴿ﷺ﴾ بطلب العلم في هذه الأحاديث الشريفة منذ الصغر ونعومة الأظفار، وأكد عليه في مرحلة الشباب، وهي مرحلة الجد والمثابرة والفراغ والقوة، وهذه الأحاديث وغيرها في هذا الخصوص لتبيّن بوضوح لا لبس فيه اهتمام النبي ﴿ﷺ﴾ بالتعليم ودعوته إلى إرساء دعائمه لأن العلم هو معيار التعامل في هذه الحياة، وعنصر ديمومتها، فالبيت العامر بالعلم يكون بيتاً مثالياً، والأسرة المتعلمة المثقفة هي أسرة مثالية، والبلد المتعلم يكون بلداً مثالياً، والمجتمع الواعي المتعلم يكون مجتمعاً حضارياً راقياً مثالياً، فجاء الخطاب النبوي الشريف على هيئة وصايا نادرة بيّن فيها أن طالب العلم الذي يجد ويتعب في تحصيل العلم، بل ربما ينفق من كده وعمله على طلب العلم وخروجه في سبيل طلبه، وتعرضه لقسوة الحياة وشددتها وللغربة والوحشة استئناساً بالعلم ومحبة منه في طلبه، فمن كان هذا شأنه فإن السبل التي يسلكها في طلبه للعلم إنما هي سبل ستقوده في نهايتها إلى جنة عرضها السماوات والأرض، ورفعة في الدنيا والآخرة، وقد قال الله تعالى في شأن المؤمنين المتعلمين في محكم كتابه العزيز: ﴿**يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[3] ، فطالب العلم الذي يخرج في طلب العلم تحفه عناية الله تعالى ورعايته، ويهيئ له الله تعالى نزلاً كريماً، ويدفع عنه من البلاء والمصائب ما لا يعلمها إلا الله تعالى، وإن كل غدوة يغدوها في طلب العلم هي غدوة في سبيل الله تعالى وله أجر المجاهدين في سبيل الله.

إنها لحياة إيجابية يعيشها طالب العلم فيتحصن في قلاع العلم المنيعة ويحصن نفسه وأهله وذويه ومن حوله من جيوش الجهل التي تذر الديار خراباً وتلقي المجتمعات في دهاليز تاريخ مظلم .

إن كل هذه المكاسب هي مكاسب نوعية يحصل عليها طالب العلم تثميناً لجهوده وإخلاصه في تحصيل النفع له ولأسرته ولدينه ولمجتمعه بأسره .

تم البحث بحمد الله وتوفيق منه ﴿ﷻ﴾

(1) المستدرك على الصحيحين كتاب العلم برقم 300: 165/1.

(2) سنن الترمذي كتاب العلم عن رسول الله (ﷺ) باب العلم: 29/5.

(3) [سورة المجادلة :11] .